

مركزية القرآن والسنة في تفكيك بنية التخلف عند عبد السلام ياسين

محمد ويدوس سيمبو¹، عبد الرحمن بن عبيد حسين²، عدنان بن محمد يوسف³، رابعة العدوية محمد
أمت⁴، نور ذو ليلى محمد غزالي⁵

التحميل على الموقع	التدقيق في	التسليم في
24 th MAY 2019	24 th APRIL 2019	20 th FEBRUARY 2019

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على منهج القرآن والسنة في تفكيك بنية التخلف من خلال مؤلفات عبد السلام ياسين التي لها صلة مباشرة بهذا العنوان. وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باستقراء مؤلفات الإمام ياسين واختيار ما هو الأنسب في ذلك لمقتضى موضوع البحث. فإذا كان الكلام له تعلق بالتخلف ولو بوجه أخذناه، وإلا تركناه، والمرجح من ذلك كله هو التعرض لمرض التخلف، وأسبابه وأعراضه، ثم القيام بعلاجه. وعبد السلام ياسين رأيناه يرجع إلى القرآن والسنة في محاولته لتفكيك بنية التخلف، فكان يعرف ماهية التخلف ويتكلم عما هو متعلق به، والقرآن والسنة بين يديه. وحاصل الكلام أنه القرآن والسنة في المنطلق والتوجه والتحليل، فلا يترك هذين المصدرين البتة، وإنما أخذهما بقوة قوة المؤمن بربه. فكان جميع مصطلحاته العلمية مشتقة من القرآن والسنة كالشورى والعدل والإحسان.

الكلمات المفتاحية: القرآن، السنة، التخلف، عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي.

¹ Muhammad Widus Sempo. Pensyarah Kanan Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah, USIM. Widus81@usim.edu.my.

² Abdul Rahman Hussein Obeid. Pensyarah Kanan Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah, USIM. drabrahman@usim.edu.my.

³ Adnan bin Mohamed Yusoff. Prof. Madya Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah, USIM. adnan@usim.edu.my.

⁴ Robiatul Adawiyah Mohd @ Amat. Pensyarah Kanan Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah. USIM. adawiyah@usim.edu.my.

⁵ Norzulaili Mohd Ghazali. Pensyarah Kanan Fakulti Pengajian Quran dan Sunnah. USIM. norzulaili@usim.edu.my.

ABSTRACT

The ultimate target of this study is to point out the method of the Holy Quran and the prophetic approach (Sunnah) in taking apart the backwardness of the Ummah through studying the worldview of Shaykh 'Abd al-Salām Yāsīn in his magnificent books which is related to this issue. This study relies on the analytical descriptive approach which depends on the reading material related to this issue through the books of Syeikh Abd al-Salam Yasin. This study at the end shows the factors of backwardness, its indicators and the divine treatment to eliminate it. We find 'Abd al-Salām Yāsīn fully rely on the Holy Quran and Sunnah in his endeavour to take apart the backwardness of the Ummah. He refers to the Quran and Sunnah in dealing with everything related backwardness, including the definition of backwardness. In conclusion, the Holy Quran and Sunnah are the main sources that he had referred to through his ideas and worldview. He never put behind the Holy Quran and Sunnah but take them stronger as the ultimate resources in everything. Furthermore, all his terminologies taken from the Quran and Sunnah such as consultation (shurā), just (adl) and perfection or excellence (ihsān).

Keywords: *Quran, Sunnah, Backwardness, Abd al-Salam Yasin, Prophetic approach.*

مقدمة

من المعلوم بداهة، أن التخلف لا خير فيه، فإذا أخذ يتسلل ووجد ما لا يستحقه من مكان في جسد الأمة، فلا شك أنه يفقد الأمة قدرتهم على اللحاق بركب الحضارة المتقدمة نحو الحياة الكريمة. ولهذا، فلا يخلو من مجدّد في كل عصر من العصور الإسلامية إلا وهو للتخلف محارب مجاهد، ولوقفه أو للحد من خطورته أخذ بوسائله. والإمام عبد السلام ياسين ليس عنه بمعزل، بل بالغ في الاهتمام به، فكانت كتاباته نحو التخلف واضحة، صارمة، ذات حلول مناسبة لعصرنا اليوم ووضع المسلمين الراهن.

وإذا أردت لذلك وضوحًا من الأمثلة، فإليك هذا المثال حيث يقول رحمه الله تعالى: "مرضنا يتجسد في أعراض التخلف، وسوء توزيع الثروات والخدمات، وشتى أنواع الظلم والفساد المعمم الذي اعتمده الأجهزة الفاسدة أسلوبًا للتدبير والحكم. لكن هذه الأعراض البالغة الخطورة لا ينبغي أن تحجب عنا جذور الداء. فلا يمكن لإصلاح دستوري جزئي هنا أو قانون انتخابي هناك - يخونه واضعوه فور صياغته- أن يخرجنا من المأزق. نستطيع أن نُشقى من مرضنا إذا ما هاجمنا الفيروس لتختفي الأعراض بكل يسر. نستطيع أن نصعد من الدرك إذا ما نجحنا في التغلب على القوى التي

تشدنا إلى الأسفل. شفاؤنا وصعودنا رهينان بثقتنا بالله ثم بقيمنا." (ياسين، عبد السلام، 2000م:270)

بين من هذه الجملة، أن الإمام ياسين إنسان متفائل نحو مستقبل مشرق للعالم الإسلامي، حيث إنه لم يئس من التخلف وأعراضه، فالتخلف هو المرض، ولكل مرض سببه الخاص، وهو الفيروس، والقضاء على الفيروس قضاء على المرض برمته على حد وصف الإمام. فإذن، الإمام ياسين يؤمن بإيمان راسخ بأن التخلف الذي هو مرض الأمة الآن كان من الممكن إزالته ورفعها، وذلك بشرط القضاء على أسبابه.

ولهذا، فإن الوقوف على التخلف وأسبابه من حيث الظهور والقضاء عليه أمر في غاية من الأهمية خاصة إذا كان البيان جأنا من طبيب متخصص كان على الداء وعلاجه بصيرا. والإمام ياسين لم يكن متخصصا فحسب بل كان آخذا به على عاتقه، متفكرا في أمره ليلا ونهارا حتى أصبح من أولويات جهاده، شأنه شأن أمر آخر الذي يجب على الجميع محاربه والقضاء عليه كالفساد والظلم والفساد المعمم الذي اعتمدته الأجهزة الفاسدة أسلوبا للتدبير والحكم.

ماهية التخلف

في الحقيقة، أن حديث الإمام ياسين عن التخلف وسبل التخلص من مستنقع الآسن إنما هو تفسير معنوي لكثير من آيات القرآن التي تدعو إلى التغيير المنشود نحو إيجاد المجتمع الإسلامي الذي يرتكز أمره كله، صغيرا وكبيرا، هينا وعسيرا على القيم القرآنية، كقوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (الرعد:13). وقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمًا أَنْ نَعَمَّهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال:8:53). وقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ) (آل عمران:3:110).

والحق أن شرط الخيرية لهذه الأمة إنما بصلاح ذاتها وإصلاحها القائم على مبدأ الأمر بالمعروف الذي هو إحقاق الحق والنهي عن المنكر الذي هو تنفيذ الباطل. أى أن تغيير ما بالأنفس من أفكارٍ ومفاهيمٍ واتجاهاتٍ وميول، أمرٌ موكولٌ للبشر بتوفيق من الله تعالى (سيد قطب، 1412 هـ: 446/1).

ولالإمام ياسين من الكلام في ذلك ما يشنف المسامع، حيث يقول رحمه الله تعالى: "في انتظار أن تحقق بنود العز الإسلامي على هامة الزمان، نتخذ أسباب القوة ابتداءً من تأصيل المفاهيم الإسلامية في معيها: الوحي. وينبغي أن يكون واضحاً لدينا، مستقراً في أذهاننا أن شأننا المصيري مرتبط بتمسكنا تمسكاً كلياً بما هو الحق والهدى والخير والمعروف. فإذا كان شأننا الفكري شتيتاً ملفقاً أعمى، نجري هنا وراء «تقدم» ومن هناك نقتبس تكنولوجيا، ومن ثم نستورد نظاماً على غير منهاج جامع، وانقطاعاً عن أصلنا ومناط هدايتنا وعزنا، فلن يكون شأننا المصيري إلا شأن الأعداء الهجاء الزمء." (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 15)

ويخلص الإمام ياسين بأن التخلف حسب التصوير الفني لألفاظ القرآن هو وصف للجناء القاعدين عن الجهاد، البخلاء بأموالهم وأنفسهم عنه، هذا الوصف القرآني مستخرج من صفات الأعرابية المتخلفة عن الجهاد بما فيهم من أخلاق النفاق، والتربص، والشك في نصر الله ووعده، والبخل في النفقة، وإيثار الراحة، والاشتغال باللذات والأهل والولد عن الأمر العام، والخوف من العدو ذي البأس الشديد، والتولي عن الله ورسوله وطاعة غيرهما، والتلهف على الغنيمة الباردة (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 16).

وفي بيان ذلك قال الله تعالى في فرقانه العزيز: (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ آلِ خَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (التوبة: 9: 87).

خلاصة القول، أن الإمام ياسين أَرانا نبع القرآن الصافي الذي اختصر معاني التخلّف في قليل من آياته، فجاء الإمام ليقطر هذه المعاني قطرة قطرة إلى أن يروينا بيانه في ذلك.

المعيار الصحيح في قياس التخلّف

أي معيار نستند إليه في قياس التخلّف؟ أهو غربي مصطنع، جاف عن الإنصاف، معاد للإسلام؟ أم أنه قرآني لا شرقي ولا غربي، منصف، عادل، لا جور فيه، كان للحق ناصرًا، وعلى الباطل معاديًا؟ فباختلاف أدوات المعيار، تتباين بالتالي النتائج. وهو ما عليه الوضع الآن.

وللإمام ياسين في ذلك كلام نفيس يضع من خلاله حدًا فاصلاً بين المعيار القرآني الإيماني والمعيار المادي الغربي، حيث يقول رحمه الله: "فكل صفة وعمل وخلق وفكر وموقف يلحقنا بالخوالف المطبوع على قلوبهم باطل. وكل إيمان وصفة وعمل صالح وخلق وفكر وموقف وحركة تؤهلنا للاستخلاف في الأرض حق.

بهذا المعيار نقيس، وإليه نرد، وعنه نصدر، وبه يكون للتخلف معنى زائد على كونه سعيًا ضعيفًا في الأرض، وللتقدم معنى زائد على كم الإنتاج ووفرة العلوم والصناعة وإحكام النظام السياسي. بالمعيار القرآني الإيماني يكون للتخلف والتقدم مغزى سماوي يعلق الحكم على مبدئيهما، ومعادهما، وكليّاتهما، وجزئياتهما، بصلاحياتهما الغائية." (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 15-16)

بيّن من هذا التصريح أن التقدّم بمعياره القرآني الإيماني هو كل حق أقر به القرآن قولاً كان، أم فعلاً مع الإيمان بأحقيقته. أما التخلّف فهو عكسه، أو بعبارة أخرى أن التخلّف كل رجوع عن الحق الشرعي من حيث أنه يأخذك إلى الورا، ولا يتركك ينفلت من عقال التأخر والانكماش.

وإذا أردت مزيداً من البيان في ذلك، فإليك كلامه الآتي: "جمع التعريف تحت كلمة «تخلّف» كل نواحي وجود الإنسان المغلوب حضارياً: نمطه في التفكير مع قلة خبرته العلمية، عقيدته مع عدم جدواه في الاقتصاد، أخلاقه مع انهزامه أمام الاستعمار. وبكلمة «تقدم» ترتبط معاني النفعية الفردية الأنايية بالخبرة الصناعة التي تحصر التقدم، كل التقدم، في المظاهر المادية التنظيمية الاختراعية، ومعاني

الكفر بالله بالازدهار الاقتصادي، وشراسة الاستعمار بالقوة. يؤخذ ذلك كله فتكون متقدما، أو يترك كله فذلك التخلف. ومن المعلوم، أنه لا يكون النظام السياسي مستقرا إلا بعلمانية، ولا الاقتصاد ناجحا إلا بمراعاة واحتكار، ولا المجتمع راقيا إلا إن سادته قيم النموذج الغربي الليبرالي والاشتراكي. يصور معيار التخلف والتقدم التطور التاريخي الذي أدى بالأمم الأوربية إلى أن تتعلم الفنون، وتجمع رأس المال، وتتصنع، وتستقر على النظام الديمقراطي الرأسمالي، ثم الطبقي الاشتراكي، على أنه التطور الحتمي المرغوب فيه، ويصور مستقبل الإنسانية على صورة ماضي أوروبا، ويزعم أن نموذج ذلك التطور عالمي علمي لا بديل له، فكل أمة تسعى لتتعلم الفنون لا بد لها من تبنى عقلانية تؤله العقل وتكفر بما عداه. "أه بتصرف يسير (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 15-16).

إذن، المعيار القرآني للتخلف أو التقدم لا جور فيه، إذ الكل فيما يستحقه من موضع وحكم. أما المعيار المادي الغربي فلا إنصاف فيه، إذ يزن الأمر بازدواجية، فلا عبرة لكل تقدم، إلا إذا كان آخذا بالمذاق الأوروبي الذي يؤله العقل ويكفر بما عداه (عبد الحميد رولامي، 2017).

فيم تكمن قوتنا إذن؟

السنة عند الجميع بيان تفصيلي لما لم يتم شرحه على وجه التفصيل في القرآن. والسنة النبوية إن هي إلا منهج الحياة مارسها الرسول ﷺ نفسه، وأسرته الكريمة، وسار على دربها أقرب الناس إليه، وهم الصحابة الكرام، خير الناس قرناً على الإطلاق. ودولة القرآن في سيرها التاريخي تحتاج إلى أسوة، وأسوتها هي السنة النبوية بلا شك (أبو ياسر الزهراني، 1996: 17).

وقد نوه به الإمام ياسين حيث يقول رحمه الله شارحاً مفصلاً: "لا بد لدولة القرآن من سند تعتمد عليه. لا بد من نموذج تحذو حدوه. من منوال تنسج عليه. وليس إلا السنة النبوية المعصومة. فهي قوتنا. إن من يبنى على رسم مبتكر قد يبدع الغرائب، وقد يبدع النكر المشوه. وأصحاب «اليوتوبيات» -وهي عندهم المجتمعات المثالية في خيال الفلاسفة- على علم بمصير الإنسانية البئيس من جراء ما رسموا. وما روسيا الفتك والاستعباد وأمريكا العنف والغابة ببعيد. أما بناء الإسلام فعلى أسوة مؤيَّدة نجحت. وإعادة البناء على ذلك المنهاج ممكنة، بل موعودة مؤكدة. يقول بعضهم: هلّم

نبي ما جاء به القرآن لا نعدوه، فهو أهدى وأمتن وصلاً من سنة انحدرت إلينا على يد أجيال طويلة. جواب هؤلاء في الحديث الصحيح كما ورد. وآخرون يقولون: إن ضرورة الإبداع المستقبلي تقتضي أن نعالج مشاكل الحاضر والمستقبل بمناهج متطورة. فأين السنة المحترمة -أى المسكينة المتخلفة- من مشاكل التصنيع والصراع الدولي وآفاق العلم وإمكانيات التكنولوجيا؟ هؤلاء نوع ممن لا يجبون أن يفهموا أن السنة إن هي إلا محور الأمر كله. وإن السنة المطهرة ما هي شكل اللباس وحجم الإنتاج وأدوات العمل وأساليب الأمن والحرب.

السنة النبوية روح ونور ورحمة وفضل. وهي أيضاً تعاليم خالدة تنتظم سلوك العبد المنيب الحريص على آخرته في عبادته الظاهرة والباطنة، في خُلُقهِ وتعامله، في عبوديته لله عز وجل، عبودية مجسدة في الأسوة المعصوم صلى الله عليه وسلم. السنة شورى في الحكم، ثم لا بأس إن جلس المؤمنون في المسجد يدبرون أمرهم أو جلسوا في بيت خاص سموه برلماناً أو غير ذلك يتفرغون فيه لشأنهم. السنة إحاء وعدل. وذلك يقتضي حسن الخلافة عن الله في ماله، وحسن القسمة، وحسن التضامن والمواساة. لا دخل في ذلك لنوع إدارة الاقتصاد وتشجيع الإنتاج ما دام ذلك لا يتعدى حدود الله إلى الإسراف والتبذير وأكل أموال الناس بالباطل. السنة قوة. لا يسألنا الله كيف صنعنا السلاح ولا كيف نظمنا مدارس العلم ومعامل الصناعة، ولا عن تقنيات كل ذلك. إنما يسألنا وتلعننا السنة إن لم نُعِدَّ ما أمرنا به من قوة، وإن لم ننظم وسائلنا البشرية والعلمية والمادية لنصنع اقتصاد القوة والكفاية ولننظم مجتمع القرآن ودولة العز بالله القوي العزيز.

السنة تنافي البدع، تنافي الشرك المتسرب إلينا مع كل خيط يربطنا برباط التبعية والتلمذة والانكسار الانهزامي أمام الجاهلية. " (ياسين، عبد السلام، 2010 م: 38-39).

إذن، فإن حال الأمة مرهون بمدى تمسكهم بالسنة النبوية قوة وضعفاً، فإذا أخذت بما بالنواجذ، ترقى وتنهض وتتقدم بلا منافس، وإذا أهملتها وتراخت عن تطبيقها، ضعفت، وعجزت عن استخلاف الأرض فضلاً عن رئاسة العالم (جامعة المدينة العالمية، بدون تاريخ الطبع: 169).

مما يستخلص مما سبق أن الثقة بالله تعني تحكيم شريعة الله في كل شأن يخص أمة الإسلام، فلا شيء إلا وبها قائم، لا العبادة، ولا الاقتصاد، ولا السياسة. كل واحد منها مدبر تدييراً حسناً تحت قيادة شريعة الله الحكيمة.

وفي بيان ذلك يقول الإمام ياسين: "إنما نستطيع الخلاص والانطلاق يوم نحكم شريعة الله في كل أمرنا، فيكون القانون الإلهي المتحكم في الصلاة والسلوك الإيماني هو نفسه الموجه للاقتصاد وآليات التوزيع، وتبقى تقنيات الإنتاج، نستمد حكمتها من علم الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض.

لن ننتزع من حلقة التخلف المفرغة، ودوامته التي تطيش بنا فتلتقمنا الأطماع العالمية، إلا بالتكتل الإسلامي المهيئ بعد التحرر والمهيئ للتحرر، وحدة إسلامية تؤهلنا لقيادة المستضعفين، وتقديم البديل عن الحضارة الآفلة المعانية لآلام الاحتضار العنيف: حضارة الاستكبار الغربي.

لن نخرج من تلك الدوامة لنصعد إلى سماء الكفاية والقوة، إلا حين تسري فينا روح الإيمان والبذل، روح التضحية والتشمير والجهاد. مستقبلنا مؤكد الانتصار تحت لواء الجهاد، فالنصر موعود الله لمن آمن وعمل صالحاً."

إذن، الثقة بالله هي بغيتنا، فهي نقطة انطلاق نحو إيجاد التكتل الإسلامي الواعي لأهيمية وحدة إسلامية في جميع نواحي الحياة من الاقتصاد، والتربية، والسياسية، وغيرها كثير مما لا سبيل إلى استقامة الحياة إلا بها، فالثقة بالله تقتضي التضحية، والجهاد، والإيمان الراسخ بصواب الأمر الذي خضنا فيه.

والثاني: الثقة بالنفس

الثقة بالنفس إنما هي نتيجة طبيعية من الثقة بالله، فالثقة بالنفس لا تعني فقط التيقن في مقدرة النفس على النجاح والتفوق، وإنما تعني اليقين الراسخ بأنه في إمكانك الهجرة من سيء إلى ما هو طيب وحسن، لا إلى الأسوء من ذي قبل، وفي قدرتك على رفع كفاءتك الانتاجية ومهارتك الإبداعية في مصلحة المجتمع (إبراهيم الفقي. 2009: 126).

وقد أشار إلى ذلك الإمام ياسين، حيث يقول رحمه الله في كتابه سنة الله: "والطريق الصحيح أن نعلم أن التخلّف المادي الصناعي إلخ مظاهر خارجية لمرض مزمن اسمه الفتنة. والفتنة وليدة الجاهلية. فإن لاحقنا التنمية تاركين الإسلام وراء ظهورنا فإنما نتوغل في الجاهلية.

بداية الطريق الصحيح أن ندخل التحديات البادية في الآفاق في معادلة واحدة إلى جانب الفساد الواقع في أنفسنا، وأن نتعلم من سنة الله المقروءة في القرآن ومن سنته الحية أمام أعيننا في تاريخ أمس واليوم أن الله تعالت قدرته لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم." اهـ (ياسين، عبد السلام، د.ت.: 171). ويقول أيضا: "نقطة قوتنا هو ديننا، وأن لا فكاك من التخلّف إلا باستغلال «المخزون النفسي» للشعوب الإسلامية." اهـ بتصرف (ياسين، عبد السلام، 1994 م: 196).

والثالث: اتحاد العالم الإسلامي

قلنا من قبل أن الثقة بالله تستدعي التكتل الإسلامي للتصدي لزحف الغربيين نحو العالم الإسلامي الطامعين لثراواته الطبيعية وحضاراته الفريدة.

الآن، فإن حاجة الأمة الإسلامية إلى توحيد الصفوف، والكلمات، والتوجهات أشد وأكثر مما مضى. أمر واحد إذا أداره بحكمة قانون موحد فإنه أحسن وكفى مما إذا أخذ في تدييره مائة قانون، وللأسف الشديد، أمتنا اليوم شتيت، أمرهم مفتت إلى حيث لا يدري أين القبلة التي توحدنا.

وفي ترددات صوت الإمام ياسين الذي تأسف لذلك، دليل واضح على حتمية هذا الاتحاد، حيث يقول رحمه الله: "انحطاط القرون أبلى خرقة نسيج الأمة، وضحالة الإيمان في قلبي أنا المنادي في النوادي لا تملك عمقا فلا تسمع الغارقين. الخروج من بؤرة الانحطاط مهمة أولى وثانية وثالثة في حق الأمة وفي واجب دولة القرآن.

وتجديد الإيمان البالي في الصدور مهمة أولى وثانية وثالثة في حق المؤمنين والمؤمنات. حق في أنفسهم، وواجب على أنفسهم لأنفسهم، ثم يسمع الله من يشاء.

للخروج من بؤرة الانحطاط، لا بد أن يتوحد الإسلاميون ويتحدوا في كل قطر ليكونوا القوة السياسية الكفيلة بإخراج الأمة من وهدة الانهزام النفسي، ثم لتعبئة الأمة لتخرج من نفق التخلف. ومنه التخلف الاقتصادي. " اهـ (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 237)

والرابع: الرفض الجذري للتعبئة الحضارية والتقليد والولاء للأجنبي الجاهلي

في عصر العولمة هذه، فإن الجهل ليس فيمن لا يستطيع القراءة والكتابة، وإنما الجهل لمن أذل نفسه تحت عبودية التبعية الحضارية والولاء الأجنبي، فهو جهل مركب، بل فوق الجهل المركب. وقد ندد بعيوب ذلك الإمام ياسين وأتى بما هو أحسن من ذلك من بديل إسلامي المذاق، فقال رحمه الله: "وأهم ما استنزف من المستضعفين شخصيتهم ومعناهم، فترك لهم وجودًا مسخًا بعد أن اضطرته للانسحاب السوري يقظة الشعوب، وموازنة الرعب النووي، بعد معاهدة يالطا (Yalta Agreement) التي قسمت مناطق النفوذ في العالم بين معسكري الجاهلية. ترك فينا الاستعمار هذه الشخصية المسخ بعد خروج عساكره من أرضنا.

يبقى علينا أن نخرج نحن من سيطرته المعنوية المرتكزة على استمرار نفوذه السياسي والاقتصادي والمالي والثقافي والحضاري. الرفض الجذري للتبعية الحضارية والتقليد والولاء للأجنبي الجاهلي مطلب عزيز. وأعز منه نصر الشخصية الإسلامية الأصلية، ونصبها مكان الصدارة في ميادين الحكم والتدبير، والإدارة والاقتصاد. رفض حضارتهم، ومعاييرها، وأخلاقها، ونظرياتها، وأساليبها، هدف شريف. وأشرف منه ألا ننتقل من مذهب جاهلي إلى مذهب جاهلي، من رأسمالية

إلى اشتراكية، بل أن نستقل بالنظر والعمل، بالمنهاج والتطبيق، بتحديد الأهداف واستصلاح الوسائل. وليس سوى شرع الله القويم وصراطه المستقيم لنا مذهب. " ١ هـ (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 237).

وضرب لنا الإمام ياسين أروع مثال في ذلك حيث استشهد بواقع الأمة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث ورد أن أمير المؤمنين دخل إلى السوق في خلافته، فلم ير فيه في الغالب إلا النبط. فاغتم لذلك، فلما أن اجتمع الناس أخبرهم بذلك، وعذلهم (لامهم) في تركهم السوق. فقالوا له: إن الله عز وجل قد أغنانا عن الأسواق بما فتح به علينا. فقال رضي الله عنه: "لئن فعلتم ليحتاجن رجالكم إلى رجالهم ونسأؤكم إلى نسائهم!". وقد كان بعض السلف إذا رأى النبط يقرؤون العلم يبكي إذ ذاك، وما ذاك إلا أن العلم إذا وقع لغير أهله يدخله من المفاسد ما أنت تراه.

ثم قال الإمام ياسين محذراً: "تأمل رحمك الله غم عمر، وبكاء السلف على ضياع العلم والخبرة من الأمة. وقم لتجاهد أسباب التبعية." (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 33). واستشهد كذلك الإمام ياسين في وجوب محاربة المسخ الثقافي برواية أخرى عن ابن ماجه في سننه عن أبي واقد قال: (لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: ما هذا؟ فقال: يا رسول الله! قدمت الشام، فرأيتهم يسجدون لبطارتهم وأسقافهم، فرأيت أنك أولى بذلك. فقال: لا تفعل! فإني لو أمرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها). (ابن ماجه، د.ت. الحديث رقم 1852).

ويخلص منه الإمام ياسين إلى القول بأنه "من مداخل الكفر والتبعية علينا تقليدنا لهم وتشبهنا بهم، وانهمنا أمام إرهابهم الفكري" ١ هـ (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 33).

والخامس: حسن التخطيط العملي بعيد المدى

حسن التخطيط نصف النجاح، مقال مشهور متداول لدى الجميع. القفز إلى النجاح دون التخطيط الجيد قد يؤدي إلى الفشل السريع ووخامة العواقب. وقد استشعر بأهميته الإمام ياسين تخلصاً من التبعية الحضارية والتقليد الأعمى لكل ما هو غربي، فقال الإمام مصوراً خطوات هذا التخطيط

الآخذ بالصبغة الإسلامية: "إن اهتمام الدولة الإسلامية يجب أن ينصرف عن أسلوب استخراج المعادن لتصديرها، وعن أسلوب المصانع المستوردة، لينصب على دعم الصناعة الصغيرة والمتوسطة والتقليدية. لا بد لنا من صناعة ثقيلة أيضا. ولا بد قبل توطينها من الاستعانة بما تتيحه السوق العالمية. لكن الاكتفاء الذاتي، وهو هدف تحرري له الأسبقية، لا يسمح بحال أن يكون كل اقتصادنا تابعا تحكمه إرادة غيرنا. ونرجع بعد حين إن شاء الله للصناعة والتصنيع.

إن اهتمام الدولة الإسلامية يجب أن ينصرف عن المشروعات الزراعية الواسعة، المخططة المؤممة، الموجهة للتصدير، إلى المشروعات الفلاحية المحلية المسؤولة، الموجهة إلى الإنتاج الغذائي. وإن استمرار التخلف ودوام التبعية راجعان إلى جملة من العوامل منها وجود اقتصاد عصري منفصل عن الاقتصاد البلدي. وجود اقتصاد متطور، قائم على التبادل التبعي للخارج، معتمد على تكنولوجيا، أي آلات وخبرة، غير مستوطنة في بلادنا.

ومع التكنولوجيا تدخل إلينا وتستفحل فينا أفكار الغرب وأنماطه الحياتية. وبهذه الكيفية تعيش على هامش الشعب وفوقه طبقة مديري الاقتصاد العصري التي لا يعينها من أمر الشعب صعوبات الحصول على الغذاء، ولا البطالة الناشئة عن المكننة العاتية التي لا تراعي المصلحة العامة، وإنما تلتمس ارتفاع الإنتاجية والأرباح بأي ثمن.

وتبقى كتلة الاقتصاد البلدي مهملة، ويبقى السواد الأعظم من الأمة محروما غير مكترث إلا بجمومه وآلامه، ولا مشارك في عملية التنمية التي لا يفهم لها معنى لأنهم لم يخصصوا له منها ناقة ولا جملا، ولا فتحوا له رجاء وأملا.

يقابل هذا التشطر بين الاقتصاد العصري والاقتصاد البلدي التقليدي في الداخل تشطر يسمى «توزيع العمل» على المستوى العالمي. بمقتضى هذا التوزيع المفروض على الشعوب المستضعفة بحكم تخلفها، بل تخلفها، يصنع الغرب موادنا الخام، يشتريها منا، لا بل يبتزها ابتزازا، بثمن بخس، ثم يبيعنا المنتجات بالثمن الباهظ، بعد أن أضاف إلى قيمتها المادية قيمة فنية تعطيها جاذبية إن كانت

سلعة استهلاك، وتعطيها الفعالية الجهنمية إن كانت سلاحاً، وتعطيها على كل حال السمعة والمهية لأنها تحمل وسام «صنع بالولايات المتحدة الأمريكية».

توزيع العمل العالمي استعمار اقتصادي يساعد على إبقائنا في التخلف، والشطر العصري من الاقتصاد في بلادنا إنما هو ذئب تابع للشركات الكبرى، واسفنجة لامتناس دمانا. " ا ه بتصرف يسير.

قبل أن أفرض يدي من هذه النقطة، أخلص إلى القول بأن الإمام ياسين رأى أن التخطيط العملي بعيد المدى لا بد أن يتحرك من أصغر لبنة في المجتمع إلى الأعلى، من السوق البلدي إلى السوق العصري بمسمياته المختلفة. والتنمية شارك فيها الأيدي الكثيرة من سواد الأعظم من الأمة، بحيث لا فرق فيها بين صغير وكبير، فقير وغني، عبد وسيد. فالكل مسؤول على تقدم التنمية وتأخرها، وإن كان المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الراعي (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 80-81).

السادس: النجاح في تحمل المسؤولية

الحديث في أن كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته (البخاري، 1422 هـ، الحديث رقم 893) يلفت نظر الإمام ياسين، واعتبر أن مرض التخلف يرجع فيما يرجع إلى انعدام المسؤولية، وواقع الأمة خير شاهد على ذلك من حيث الاستبداد الحكمي، وسرقة أموال الشعب وتبذيرها بدون ردع يحاسب. وإليك من نبرة كلام الإمام ياسين ما يدل على تألمه وتأسفه لهذا الوضع السيء حيث يقول رحمه الله في كتابه "الإحسان": "إن مرض التخلف وقلة الجدوى يرجع، فيما يرجع، إلى انعدام المسؤولية. فالحاكم المستبد، أو الزمرة المتسلطة، لا يُناقش لهم قول ولا فعل ولا أمر ولا اختيار. وينطلق الملاء العاض على الحكم في تبذير الأموال، ورفع الصنائع إلى مناصب النهب.

وبما أن الحكم العاض والجبري لا أساس له من ولاء الشعب، فإنه يشتري ولاء تجارياً بالتوسعة على لفيفه، وبإطعام الشعب طعام البؤس الذي لا بد من حد أدنى منه. لا يدخل في اهتمام الحاكم المستبد إلا استمرار وجوده. لذلك يقترض ويقترض، ويمده حلفاً بالسلفة بعد

السلفه، يَرشُو هو دعائم سلطته في الداخل، وترشوه هو حاميته الخارجية.

في الدولة الإسلامية الناشئة، ينبغي أن تُطاع الأمة بالحقائق، وأن يكشف عن الحسابات، وأن يُدعى المسلمون جميعاً إلى شد الحزام، في مقدمتهم على واجهة البذل والصبر رجال الدعوة مثلما قرأنا عن الإمام على الذي كان يحب المساكين ويعيش عيشة الكافة، لا يتميز عنهم بالأرزاق الخصبه.

في البناء الإسلامي يجب أن يكون عَقْدُ الولاء بين الدعوة والقاعدة عقدَ وفاء ورباط دين لا تنال منه ولا تُوهنه أخطاء الدولة المنقّدة، ولا صعوبات الاقتصاد ولا أزمات الطوارئ. إن من اللازم إعادة هيكلة الدولة بعد مرحلة الوصول إلى الحكم، وإعادة ترتيب الإدارة، وإعادة توضيب الاقتصاد، مع ما يلزم من قمع الاستغلال وما يتبع من تهريب الأموال وتخريب أعداء الداخل وحصار أعداء الخارج. كل هذا يُظهر أهمية عقد الولاء بين الدعوة والقاعدة، والقدر الواجب من الوفاء له مهما كانت الزعازع. " ١ هـ (ياسين، عبد السلام، د.ت: 509-510).

إذن، بمقتضى هذا الكلام فإن المسؤولية لا يتحملها فرد بعينه في المجتمع، لا الرئيس وحده، ولا المرؤوس وحده، ولا الداعية وحده ولا كذلك المدعو نفسه، وإنما المسؤولية أمر كريم استشعر بأهميته الكل، فالإمام ياسين أراد أن يكون بنا مسؤولية دون النظر إلى من وقع عليه المسؤولية. فإذا نبت هذا الشعور في الفرد والجماعة، تحرك الكل لمحاربة عجلة التخلف، فلا يسود إلا الرخاء والتقدم.

السابع: إيجاد سبل الخروج من مشاكل الإنتاج

لا شك، أن الإنتاج قوام العمران، إذا تعطلت عجلته توقف البناء عن الدوران، ولم يبق سوى التخلف المزدرى. ولما كان الأمر على هذا النحو، استخرج الإمام ياسين من معامل المنهاج النبوي كذا سبل الخروج من مثل هذه المشاكل، ودونك بيانه حيث يقول رحمه الله: "مشاكل الإنتاج، وهو قوام العمران الذي أمرنا به إذ هو قاعدته المادية، في بلاد التخلف الاقتصادي تكشف عن الضرورات الملحة التالية:

- (1) ألا يكون احترام الملكية الخاصة، وهي الأصل في الاقتصاد الإسلامي، مانعا من تعبئة كل طاقات الأمة لإنتاج الكفاية والقوة، بحيث لا يسمح للمالكين التصرف السفيفه الذي ينافي المصلحة العامة، ولا يسمح بكنز الأموال، ولا بتعطيلها.
- (2) تحرير القوة العاملة من قبضة رأس المال.
- (3) تشجيع المبادرة الفردية بما لا يتنافى مع الخطة العامة لاقتصاد الأمة.
- (4) تشجيع التعاون، وإنشاء شركات إسلامية صناعية، لإخراج الأموال من ميادين التملك العقاري والاستثمارات غير المنتجة.
- (5) تأميم القرض والمصارف، وتحويلهما إلى مؤسسات لا ربوية تنشط عملية الإنتاج.
- (6) تأميم وسائل الإنتاج الأساسية المتصلة بالمصالح العامة، توسيعا لمفهوم اشتراك الناس في الماء والكلا والنار، وقياسا عليه.
- (7) وضع خطة تنمية بواسطة تدخل الدولة في توجيه عملية الإنتاج، وتشجيعه، وتنظيمه، دون أن يصبح التدخل عرقلة للمبادرات النافعة، ولا تعقيدا مكتبيا.
- (8) إتاحة فرص الشغل لكل قادر على العمل، باعتماد التقنيات والأساليب التي تشغل الناس أكثر مما تشغل الآلات الميكانيكية. هذا في حدود ضرورات التصنيع. فإنه لا يمكن الإنتاج الثقيل، والفني، والسلاحي، إلا بصناعة تقنية عالية. وعلينا السعي لمسابقة ومنافسة الدول المصنعة التي تعيش ثورة الإلكتروني، التي تطور الصناعة، وأطر الاقتصاد، وظروف المنافسة العالمية، بما يتلاءم والنظام «الأوطوماطي» والبرمجة الإعلامية. نحن مسبوقون سبقا فظيحا في مجالات التكنولوجيا والخبرات الاقتصادية، نحن المسلمين في مؤخرة ركب الدول المستضعفة. ولا نعني بكوننا مسبوقين أن نهج سبيل الحضارة المادية التي تقود العالم والإنسانية للإفلاس. نعني ونريد أن ترتفع همتنا.
- (9) بعد التصنيع، مع تجنب أخطاء غيرنا، أن نخترع نمطاً إنسانياً للإنتاج والاستهلاك، يحقق لنا القوة والكفاية، دون أن يحول الإنسان دابة اقتصادية، ودون أن ييذر خيرات الأرض، ويفسد الماء والأرض والسماء.
- (10) تدريب الخبرات والمهارات الضرورية، واستعادة الأدمغة المهاجرة من أبنائنا الأذكياء.

- (11) تهيء سوق واسعة لمنتجات المسلمين. وذلك بإحداث قوة شرائية لدى الفئات الفقيرة، وردع الأغنياء المترفين عن إنفاق أموال المسلمين في شراء بضائع غيرنا.
- (12) إصلاح زراعي يطبق القاعدة الإسلامية: «من أحيا أرضا موتا فهي له» (البخاري. عائشة. الحديث رقم 2335). وبالنظر إلى المقاصد الإسلامية يمكن اعتبار المتهاونين في حرثة الأرض، والمتغيبين عنها، والرافضين لتوجيه الدولة الإسلامية، معطلين للأرض، يستحقون أن تنزع منهم. وبهذا الاعتبار نلتمس أحكاما واستدلالات لإعادة توزيع الأرض، بجمع الملكيات الصغيرة، وتفتيت الكبيرة، بما يناسب تنشيط الإنتاج، ويرفع إنتاجية العمل.
- (13) توسيع السوق للمنتجات الإسلامية بالإسراع لتكثف اقتصادي بين الأقطار الإسلامية، بقطع النظر عن أنظمة الحكم فيها. فإن التكامل الاقتصادي، والتضامن بين الدول القائمة في بلاد الإسلام، ضرورة تاريخية ملحة، لا يتحمل تشييدها انتظار الانسجام في فهم الإسلام. وعلى الدولة الإسلامية المحددة أن تعي هذا وتترك للدعوة شؤون الدفاع عن الحق والعدل، شؤون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. علاقات الدولة الإسلامية المحددة بغيرها من الدول تقتضي موقفا دقيقا لا يمس الحق، ولا يتخطى الضرورات العملية الآنية.
- (14) تهيء تكنولوجية وتخطيط ونمط إنتاج واستهلاك لمستقبل الإسلام، حتى نتحرر من النموذج الجاهلي. ففي مرحلة الانتقال توجه ثروات الأمة لتحصيل التنمية، والاكتفاء الذاتي، والأمن الغذائي، والقوة الاقتصادية والعسكرية. وفي هذه المرحلة لا نملك إلا أن نستعمل التكنولوجيا المتاحة في السوق، وأساليب التخطيط، وأنماط الإنتاج، التي جربت وتجرب في البلدان النامية.
- (15) ولا بد أن نتعلم ونتلمذ. وفي مرحلة لاحقة، حين تشتد قواعدا إن شاء الله، ونستقل بالعلم والخبرة، لا بد أن نقيم اقتصادا منسجما كما وكيفا مع مقاصد الشريعة، هادفا لخدمة أهداف الشريعة، صالحا لتقديم الزاد المادي النظيف الطيب للمؤمن المقبل على ربه، يخاطبه بما خاطب به رسله الكرام: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) (المؤمنون 51:23)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا

مِنْ طَيِّبٍ مَا رَزَقَ نَكْمًا (البقرة:172)، (الجماعة، 1402 هـ:100-101).

الثامن: علاج التفاوت الفاحش بين طبقات المجتمع

قد يسأل سائل عما إذا كان الفجوة بين الغني والفقير مما يمكن سدها أم لا، فيقول مستفهمًا: ما هو علاج التفاوت الفاحش بين الطبقات؟ وما هي القوانين التي يمكن استنباطها من أصولنا لإيقاف جنون النمو غير المتوازن الذي بمقتضاه يزداد الأغنياء غني والفقراء فقرا؟ هل هناك إجراء أخير نهائي يمكن للإمام أن يتخذه لضرب استغلال النفوذ وغيره من الجرائم الاقتصادية؟ هل يجوز للإمام، أي للدولة الإسلامية، أن تأخذ من الأغنياء وتعطي الفقراء لإقامة ميزان العدل عندما لا تؤدي آليات توزيع الثروة الأساسية وظيفتها مثل آليات الزكاة، والضرائب، والصدقات، والنفقات، والنفقات الجهادية الواجبة عندما يدهم العدو؟

هذه الأسئلة التي تنصب على نفس المشكلة، وهي الفجوة الواسعة بين غني وفقير افترضها الإمام ياسين نفسه نزولا لمقتضى الواقع المشاهد، وأجاب عنها ياسين قائلا: "بعد آية سورة النساء (4: 6) التي تعطينا حق الحجر على السفهاء ومنعهم من التصرف في أموالنا، نجد حديثًا شريفًا رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: (بينما نحن في سفر، إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا. فقال رسول الله ﷺ: «من كان له فضل ظهر، أي دابة تركب زائدة على حاجته، فليعد به على من لا ظهر له. ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»، فذكر من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا أنه لا حق لأحد في فضل) (أبو داود، 2009، الحديث رقم 1663).

في تلك الظروف، ظروف السفر الجهادي، صدر الأمر الشريف بالقسمة. لم يكن هذا الأمر من باب الحث على الصدقة بل كان تشريعا لحالة يكون لهذا مال زائد عن الحاجة ويقلب ذاك بصره يمينا وشمالا من الخصاصة. كان الصحابة أبصر الناس بمقاصد الشريعة وبأساليب المصطفى ﷺ في توجيه الخطاب، وقد ظنوا عند صدور الأمر أن لا حق لأحد في فضل مع وجود محتاج.

هذا الحديث الشريف يلتحق بآية إضافة الأموال إلى الأمة، وينعطف على صورة قانون تطبيقي إلى حكمة التملك الأصلية وهي استخلاف الله عز وجل إيانا في ماله لكي ننفقه: (وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ) (الحديد: 57: 7).

هذا، واستنتج الإمام ياسين من الثروة القرآنية والحديثية في سعيه الحثيث نحو علاج التفاوت الفاحش بين طبقات المجتمع فقال: "لا ينبغي للإمام أن يقف مكتوف اليدين أمام تفاحش الميزان، لا ينبغي أن يكتفي بجمع الأغنياء فيعظهم بالآيات الواردة في وعيد من يكثر ويخزل ولا ينفق، وإن كان الوعظ من وظائفه بصفته رجل دعوة. لديه أصل تشريعي في إنفاق الفضول ثابت بالسنة، وأصل تشريعي مقرر في القرآن في شأن الحجر على السفهاء." (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 46-47).

بين أن نوعية العلاج لهذا التفاوت الاجتماعي الفاحش بين الطبقات على رغم تنوعها وتباينها، إلا أنه أرجعها الإمام ياسين إلى مرهم القرآن. وفي بيان ذلك يقول رحمه الله: "فجوة التخلف الاقتصادي والحضاري، وفجوة تدهور الأخلاق وفساد الضمائر، وفجوة الحقد الطبقي الذي تولد عن ظلم المستكبرين، فجوة معنوية، خلقية، روحية لا يغني في تضييقها وطمسها وازع السلطان وحده، إنما يغني وازع القرآن." (الجماعة، 1402 هـ: 65).

حقاً، أن المرتجى إزاء سعي القرآن الحثيث نحو سد هذه الفجوة التخلفية هو التراحم بين أفراد الشعب، لأن التراحم سبب النهضة، وفي بيان ذلك يقول رحمه الله: "وما من معنى قرآني إلا وهو شعبة من شعب الإيمان، فإن نضبت شعب الرحمة وأخواتها فلا يبقى في يدنا إلا شكل القرآن، وشكل الإيمان، والصورة الظاهرة الحرفية للدين." (ياسين، عبد السلام، 2010 م: 32).

التاسع: ترويض المال لأهداف دولة القرآن

المال شأنه شأن الأنعام من البهيمة. إن لم تحسن ترويضه، فقد ينفلت من يدك وأنت لا تشعر، والأسوء من هذا، إذا أصبح المال سيّدًا، وأنت عبد تؤله، أو بعبارة أخرى أنه لا يعينك سوى إثراء النفس بغض النظر عن حلاله أو حرامه.

وقد استشرع الإمام ياسين خطورة هذا الأمر، فأخذ يصور المال هذا كالحیوان الذي يحتاج إلى نوعية خاصة من معاملة لأجل ترويضه والتصرف فيه، حيث يقول رحمه الله: "على دولة القرآن أن تروض المال حتى يصبح أليفًا، وأن تطوعه ليكون خادما مطيعا لا جبارا يقصم ظهر المستضعفين. عليها أن تؤسس بيوت التمويل الإسلامية، يكون التعامل معها على أساس القراض الشرعي، والشراكة المباحة، لا على أساس الربا والغرر والمقامرة. بإلجام المال وترويضه بالقوانين الإسلامية يصبح من الممكن ربط مصالح العمل برأس المال ربطاً لا يجحف بالعامل، ولا يعطي صاحب المال فرصة لتجاوز حقه. وتلك القوانين يمنع صاحب المال من الإضرار بمصالح الجماعة، ومن السيطرة على السوق كما يسيطر رأس المال المناسب من كل قيود. وبها يلزم المالك أن يوظف المال ويستثمره فيما ينفعه وينفع الناس، لا في الإنتاج، مطلق الإنتاج، للنافع والضار والقاتل. بإلجام المال بالقوانين الشرعية يمكن أن يوضع حد للاحتكار، فلا يجيء المشروع الضخم، بوسائل مالية ضخمة، ليقضي على المشاريع الصغيرة، ويقذف بها إلى الإفلاس.

لا يصح في الإسلام أن تحتكر الدولة المشاريع كما هو حل الاشتراكية، كما لا يصح أن تسمح أن يحتكر الأغنياء السوق. فإن من قواعد الاقتصاد في الإسلام ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، أي أن لا يسمح للأغنياء بتضامن مالي على حساب المتوسطين والفقراء، ولا بتأمر احتكاري.

وفي الإسلام القاعدة النبوية «لا ضرر ولا ضرار» (الأمدي، بدون تاريخ الطبع). وهي قاعدة تقضى ألا يضار المالك ولا العامل، وألا يتضار المنتجون فيما بينهم بالمنافسة غير الشريفة. ومما يساعد على تطبيق هذه القاعدة وجود وجهين للملكية في الإسلام: ملكية الأفراد وملكية الجماعة، هذه توازن تلك وتضبطها وتحد من غلواتها. "اه (ياسين، عبد السلام، 1995 م: 66-67).

العاشر: فتح باب الاجتهاد

الاجتهاد هو ثمرة حكمة نصوص القرآن والسنة، والدعوة إلى غلق باب الاجتهاد فتح لأبواب التخلف في حد ذاته. ولهذا دعى الإمام ياسين إلى استمرار عملية الاجتهاد في كثير من مجالات الحياة، لا في الدين فقط، وإنما في الأمور الدنيوية كذلك.

قال رحمه الله في كتابه "الحوار مع الفضلاء الديمقراطيين": "أنه لا بد من اجتهاد، وأن لا اجتهاد بمعزل عن آخر ما تفتق عنه العقل البشري. وليقول صراحة وتلويحاً إن الاجتهاد هو أبو بجدته، وإن هؤلاء المعممين المساكين المتمسكين بالتراث المنهجي ما هم إلا بقايا واقع التخلف." (ياسين، عبد السلام، 1994 م.: 45).

ولهذا، حذر الإمام ياسين خطورة هذا الأمر في كتابه "القرآن والنبوة"، فقال رحمه الله ضارباً لذلك مثلاً مما عليه حكام العض والجبر: "تأمّر هؤلاء الحكام على سد باب الاجتهاد وصادروا العقل المستنير بالقرآن وخنقوه. وبذلك أغلقوا منافذ الحرية والمسؤولية عن الناس. ثم إن تاريخنا عرف الحروب الداخلية والغزو الخارجي وفتنة العقل حين سُخِّرَ العقل لتأويل القرآن تأويلاً يبرر به كل فريق مذهبه الذي يحارب مذاهب أخرى على الزعامة والملك. في هذا الجو لا قرار للناس يسمح بتأثيل ثمرات العقلي" أ ه بتصرف يسير (ياسين، عبد السلام، د.ت.: 20).

نتائج البحث:

- 1) أن دواعي التخلف ليست أمراً خارجياً، وإنما من عند أنفسنا نحن نتيجة فقدان الرشد في إدارة الحكم وتفشي الجهل والتردي في الأخلاق الاجتماعية.
- 2) كما أن أدوية الأمة لإزاحة التخلف عن طريقهم نحو التقدم إنما من بوتقة القرآن والسنة، فمن ابتغى وراء ذلك فقد خسر حسرًا مبيئًا.
- 3) أن التقدم والرقي الحضاري متوقف على حسن الثقة بقدرة الأمة أنفسهم، وحسن التخطيط بعيد المدى وقصيره، والرفض الجذري للتعبة الحضارية والتقليد والولاء للأجنبي الجاهلي.

4) تحريك عجلة الإنتاج المحلي، وذلك بفتح باب الاجتهاد بمفهومه الواسع في جميع المجالات التي تخص تقدم الأمة الإسلامية.

المراجع:

القرآن

- الأمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم. دون تاريخ الطبع. الإحكام في اصول الأحكام. تحقيق عبد الرزاق عفيفي. بيروت: المكتب الإسلامي.
- ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد. دون تاريخ الطبع. سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. 2009 م. سنن أبي داود. تحقيق شعيب الأرنؤوط. دار الرسالة العالمية.
- أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني. 1996. تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري. الطبعة الأولى. الرياض: دار الهجرة.
- إبراهيم الفقي. 2009 م. الطريق إلى الامتياز. الطبعة الأولى. دار الراجحة للنشر والتوزيع.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. 1422 هـ. صحيح البخاري. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.
- سيد قطب إبراهيم حسين. 1412 هـ. في ظلال القرآن. الطبعة الأولى. بيروت: دار الشروق.
- الجماعة. 1402 هـ. مجلة إسلامية، العدد العاشر. شهر رمضان.
- عبد الحميد رولامي. 2017. أسباب التخلف الاقتصادي في العالم الإسلامي في فكر ياسين. <https://www.yassine.net/ar/2017/02/أسباب-التخلف-الاقتصادي-في-العالم-الإسلامي/>

الإسلامي/

- ياسين، عبد السلام. 2000م. *الإحسان*. المغرب: مطبوعات الأفق.
- ياسين، عبد السلام. 2000م. *الإسلام والحداثة*. دار الآفاق.
- ياسين، عبد السلام. 2010م. *القرآن والنبوة*. دار لبنان للنشر والطباعة.
- ياسين، عبد السلام. 1994م. *حوار مع الفضلاء الديمقراطيين*. المغرب: الدار البيضاء.
- ياسين، عبد السلام. (دون تاريخ الطبع). *سنة الله، الطبعة الثانية، مطبعة الخليج العربي*.
- ياسين، عبد السلام. 1995م. *في الاقتصاد (البواعث الإيمانية والضوابط الشرعية)*. المغرب: الدار البيضاء.